هوامش

شهدت اليونان هذا العام فصل الشتاء الأكثر دفئاً فيها منذ عام 1960، تلاه صيف حارق. وكان أكتوبر الأكثر جفافاً خلال الأعوام الـ15 الماضية، ما أدّى إلى جفاف الأراضي التي ينبت فيها الزعفران في أجزاء من اليونان

تُصدّر هذه التوابل إلى عشرين دولة أجنبية (فرانس برس)

حقول الزعفران

الجفاف في اليونان يلتهم المحاصيل

يتكئ منتج الزعفران اليوناني، غريغوريس تزيديموبولوس، على البتلات الزرقاء والأرجوانية ذات الرائحة الفواحة، فيما يعتصر قلبه حزناً لرؤية الأرض في حقله متشققة وجافة في وقت الحصاد السنوي. يقول الرجل البالغ من العمر 68 عاماً قرب مدينة كوزاني في شمال اليونان: «منذ مايو (أيار)، لم تهطل أي أمطار (...) واقتصر الأمر على بضع قطرات». زراعة «زعفران كوزاني»، وهو الزعفران اليوناني، من أكثر المحاصيل ربحية في هذا البلد المتوسطي الذي يدفع فاتورة باهظة جراء التغير المناخي. يباع الغرام بسعر يراوح بين خمسة وتسعة يوروهات. لكن هذه المحاصيل تتأثر بشدة جراء الجفاف الطويل الذي يؤدي من سنة إلى أخرى إلى انخفاض كبير في الإنتاج.

شهدت اليونان هذا العام فصل الشتاء الأكثر دفئاً فيها منذ عام 1960، تلاه صيف حارق. وكان أكتوبر/تشرين الأول الأكثر جفافاً خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية، بحسب المرصد الوطني في أثينا، وهو مرجع في الأرصاد الجوية.

في الماضي، كان الحصاد يُنجز تحت المطر، أو حتى تحت الثلوج في هذه المنطقة الجبلية في مقاطعة مقدونيا الغربية، على ما يستذكر غريغوريس تزيديموبولوس الذي يزرع هذه التوابل الثمينة لقطاع الصناعات الدوائية ومستحضرات التجميل. ويقول بأسف: «في العام الماضي، بلغ الحصاد ثلاثة كيلوغرامات فقط من حقل مساحته تسعة آلاف متر مربع، في حين أننا عادة نحصد كيلوغراماً واحداً من ألف متر مربع». في الحقول المغطاة بالزهور، يعمد عمال المزارع، وظهورهم منحنية أو جالسين في وضع القرفصاء، إلى قطف الزعفران بعناية. مع زهرة مقطوفة بين أصابعها، تتفحص سيسي إيونا التي تعمل في حقول المنطقة منذ عشر سنوات، الخيوط الحمراء أو البرتقالية التي يُستخرج منها الزعفران بعد تجفيفها. تقول هذه الأربعينية إن «حجم الزهور هذا العام أصغر بثلاث مرات مما كان عليه في الأعوام السابقة»، مضيفة: «عندما تُجفف الزهرة، تصبح خيوطها أدق من الشعرة». ووفقا للمنتجين، ثمة حاجة إلى ما يقرب من 50 ألفاً من هذه الخيوط الحمراء لإنتاج 100 غرام من الزعفران اليوناني.

بدأت زراعة الزعفران قبل ثلاثة آلاف و600 عام في اليونان، وفق لوحة جدارية من العصر المينوسي تُظهر أشخاصاً يقطفون هذا النوع من التوابل الذي يعطّر الأرزّ والدجاج والأسماك، لكنّه يُستخدم أيضاً في المنتجات الصيدلانية ومستحضرات التجميل. يُنتَج الزعفران في إيران، وأيضاً في أفغانستان أو كشمير، وكذلك في اليونان حيث يتمتع «زعفران كوزاني» بعلامة حماية أوروبية (PDO).

يُزرع حالياً حوالى خمسة آلاف و200 هكتار من الأراضي تضم ألف مزارع في حوالى عشرين قرية حول مدينة كوزاني، حيث يسمح المناخ المحلي بإنتاج الصنف اليوناني الذي يستمد اسمه من قرية كروكوس القريبة. تُصدّر هذه التوابل إلى عشرين دولة أجنبية، من بينها سويسرا والولايات المتحدة الأميركية التي تشكل أهم الأسواق. تتمتع الجمعية التعاونية المحلية التي أُنشئت عام 1971، بالحق الحصري في جمع المنتج وتعبئته وتوزيعه. قبل أربعين عاماً، كان إجمالي إنتاج الزعفران في هذه المنطقة 12 طناً، لكنه انخفض العام الماضي إلى ما يزيد قليلاً على طن. يؤكد رئيس التعاونية فاسيليس ميتسيوبولوس أن «الكميات السنوية المنتجة تتناقص كل عام». يقول: «في عام 2017، وبالمساحات نفسها، بلغ إنتاجنا 3,8 أطنان». ويعزو ميتسوبولوس الوضع إلى «الاحترار المناخي وهطول الأمطار بصورة غير منتظمة وفي توقيت سيئ، وتساقط الثلوج شبه المعدوم حالياً».

يؤثر النقص الشديد في هطول الأمطار هذا العام على كثير من المنتجات الزراعية في اليونان، حتى بساتين الزيتون المقاومة للجفاف تعاني جراء هذا الوضع. واضطر بعض المنتجين إلى التوقف عن زراعة المحاصيل التقليدية واختيار الفواكه الغريبة، مثل المانغا والليتشي والشيريموايا وجوز المكاديميا. يقول فاسيليس ميتسيوبولوس: «إذا استمر إنتاج (الزعفران) في الانخفاض، أخشى أن يُضطر المنتجون إما إلى التخلي عنه وإما إلى الانتقال شمالاً».

(فرانس برس)

باختصار

في الماضي، كان الحصاد يُنجز تحت المطر، أو حتى تحت الثلوج في هذه المنطقة الجبلية في مقاطعة مقدونيا الغربية

■■■

ثمة حاجة إلى ما يقرب من 50 ألفاً من الخيوط الحمراء لإنتاج 100 غرام من الزعفران اليوناني

■■■

بدأت زراعة الزعفران قبل ثلاثة آلاف و600 عام في اليونان، وفق لوحة جدارية من العصر المينوسي تُظهر أشخاصاً يقطفون هذا النوع من التوابل

وأخيراً

«الروع»... جديد زهران القاسمي

محمود الرحبي

نقرأ في مجمل روايات العُماني زهران القاسمي (حازت روايته «تغريبة القافر» الجائزة العالمية للرواية العربية البوكر عام 2023) حركة أهل جبال وادي الطايين، وحياتهم وتاريخهم، وقد عُرِفوا في عُمان بتربية الأغنام ونمط الحياة الرعوي، حيث يعيش الكاتب في قرية من هذا الوادي بشرقية عُمان. نمط الحياة هذا تراه موّزعاً في بيئة معظم روايات القاسمي. مثلاً لديه رواية تحت عنوان «جوع العسل»، عن هذه الرحلة المعقّدة في تربية عسل النحل. كما تدور روايته «القنّاص» حول رحلات اصطياد الماعز الجبلي قديماً. في آخر رواياته الصادرة؛ «الروع» (دار مسكلياني، تونس، 2024)، لم يبرح زهران مكانه الأول من حيث استثمار معطيات بيئته الريفية والاستثمار السردي في معرفته تفاصيلها ودقائقها. وهي رواية متوسّطة الحجم (154 صفحة) تتكرّر فيها فزّاعات الحقول مع بطلها «محجان». تبدأ الرواية بحدث ميلودرامي تشير سهامه إلى ولادة صباح جديد، وبالتالي حدث فارق في حياة «محجان» وقريته: «استيقظت البلاد قبيل شروق شمس أحد الأيام على صراخ محجان، وهو يركض في حارات البلاد، مجتازاً بيوتها إلى ضواحي النخل، خرج الناس على أثر ذلك الصراخ مستنكرين وجلين على من مزّق سكون صباحهم». تشير هذه البداية إلى حدث فجائعي مجهول، لم يكن بلا صفات. الخوف أو الروع، حذفت من العنوان ضمّة الشدّ من رأس حرف الراء لتفضي دلالتها إلى الخوف والهلع، بيد أن المقصود هنا في المنطوق العُماني هو الرُّوع أي فزّاعات الحقول، وهو ما سيتجلّى مع التقدّم في قراءة الرواية، رغم أن المسمَّيين في اللهجة والفصحى لا يبتعدان عن الخوف والروع، وهما العنصران الغالبان في أجواء الرواية، فزّاعات تنصب في الحقول بغرض إيهام الطيور والدواب بوجود كائن بشري يردعها من الاقتراب من المساحات المزروعة. هياكل خشبية بعضها مزّين بمعادن صائتة تأخذ في هيئتها شكلاً بشرياً جامداً لا يتحرّك إلا بما ستجود به الرياح من هزّات خفيفة. هذه الفزاعة أو (الرُّوع)، التي يفترض أنها مثبّتة لإخافة الطيور والدواب، تحوّلت في هذه الرواية مصدر خوف لأهل القرية، وذلك حين توهمها «محجانُ» بشراً مقطوع الرأس والأطراف في قلب مرزعته، فيسقط مغشياً عليه، ثمّ يستيقظ بحواسّ مستنفرةٍ جديدةٍ، وكأنها كانت معطّلةً قبل ذلك. فبعد هذا الحادث، صار محجان ينظر إلى كلّ شيء بخوف وهلع، بل بإصغاء شديد وتحفّز. سحابة في الأفق مثل شعر منفوش تمنّى أن يلمسها، الصمت صار مخيفاً، وكذلك صوت الطيور. حتى نعيق الغربان، الذي طالما سمعه بحياد، أصبح بعد الحادثة يثير لديه ذكرى التطيّر. حتى هذه الساعة، لا أحد يعرف من أهل القرية ما الذي رآه «محجان»، ولكن رغم ذلك، فالجميع رماه بالجنون بسبب تغيّر تصرفاته.

من أجل تأثيث روايته بالعجيب والغريب، استعان السارد بالمرويات الشعبية، أو بما يمكن أن يضع قارئه في دائرة التشويق، ويختار من الذكريات ما يعزّز فكرة غرابة بطل القصة وجنونه وعدم سويته، وإتيانه بالقفشات الذاهلة التي تستثير الضحك.

> يكمل زهران القاسمي في «الروع» سلسلة استثمار البيئة العُمانية من محكيات وطبيعة

في سرده الخطّي المتلاحق والمتسارع، استطاع الكاتب أن يحشد جميع العناصر والأساطير والمحكيات لتشكّل ضغطاً نفسياً حتى على السرد نفسه، وبالتالي تؤدّي إلى الانفجار الذي حدث في نهاية الرواية، فأهل القرية حين أنهى «محجان» صنع روعه وفزّاعته، رموه بالسحر والدجل، وأن كلّ شيء سيئ يحدث في تلك القرية مصدره مزرعة «محجان»، وذلك الكائن الغريب الذي صنعه بيديه وبث فيه سحراً أسودَ. ونتيجة لهذا الضغط من أهل القرية الذين من ضمنهم زوجته، اسودّت الدنيا في عيني «محجان»، وفعل في ليل بلا قمر الأفاعيل ببيوت قريته وفزّاعاتها. فانتشرت الحرائق، ولاذ «محجان» بقفار الأرض هارباً.

يكمل زهران القاسمي في هذه الرواية سلسلة استثمار البيئة العُمانية من محكيات وطبيعة، كما هو الأمر مع رواياته السابقة، التي تدور حول مواضيع متشابهة من ناحية استحضار العناصر الطبيعية والحضور الطاغي للبيئة والعادات وهيمنتها، حتى إن الشخصيات تذوب وتتلاشى أمامها.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**